

DOI: 10.54240/2318-012-002-016

لعبة الكرة بين الأصول والتطور والآثار بمصر وبلاد الشام

في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)

The ball game between origins, development and antiquities in Egypt
and the Levant in the Mamluk era (648-923AH/1250-1517AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: أم الخير عثمانى - Oumelkheir Otmani صص 286-311
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة- جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة- الجزائر.
البريد الإلكتروني: o.otmani@univ-dbkm.dz

تاريخ استقبال المقال: 2022/05/17... تاريخ المراجعة: 2022/06/05... تاريخ القبول: 2022/06/11...

الملخص: اهتم سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام بلعبة الكرة، على الرغم من تعدد تسمياتها لارتباطها بوسائل أخرى كالصولجان الذي استُخدم في دحرجتها، كما ارتبطت بالفروسيّة، فكانت إحدى رموز الهيبة لما يُشترط في لاعبيها من تمكّن في رياضة الفروسيّة، وهو ما يلزم القوّة والشجاعة، إلّا أنّ هذه اللعبة كانت ملوكيّة سلطانيّة بالدرجة الأولى؛ بل أشرف على تطويرها السلاطين المماليك أنفسهم، ما جعل هذه اللعبة مقتصرّة على الخاصّة وضيوفهم، من الوفود التي تصل إلى قصورهم.

لعبة الكرة قديمة، لكنّ جديدها مع رغبة السلاطين المماليك في إبراز هيبتهم وعظمتهم أمام الرعيّة وأمام زوّارهم، وهو ما انعكس إيجاباً على تهيئة الميادين الخاصّة لها، والاهتمام بتزيين المحيط العمراني والاهتمام بتجهيز المراكز والأزياء والعُدّة (للأعبين والخيول)، وسنّ المراسيم، على اعتبار أنّ التوجّه إلى أماكن اللعب يقتضي بالضرورة التهيئة الجماليّة، وهو ما اقتضى إدراج هذه اللعبة كأحد العناصر الهامّة في خطّة الميزانيّة الخاصّة بالدولة، كما استدعى ذلك الاهتمام بالصحة الجسديّة للممارسين لها، فانعكس ذلك على التخصّص الطيّ؛ فما جديد هذه اللعبة في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، بشقيّه (البحري، والبُرْجي)؟ وما آثار لعبها على الدولة والفرد؟

الكلمات المفتاحية: لعبة؛ الكرة؛ الصَوْلجان؛ الجوكان؛ الميادين؛ الممالك؛ البحرية؛
البرجية؛ القلعة؛ دمشق.

Abstract : *The Mamluk sultans in Egypt and the Levant were interested in the game of ball, despite its many names because it was linked to other means such as the scepter that was used to roll it, and it was also associated with equestrian, and it was one of the symbols of prestige for what is required in its players to be able in the equestrian sport, and courage, which is what is required, except strength. This game was primarily royal and royal; Rather, its development was supervised by the Mamluk sultans themselves, which made this game restricted to the elite and their guests, from the delegations that reach their palaces.*

The game of ball is old, but it is new, with the desire of the Mamluk sultans to highlight their prestige and greatness in front of the parish and their visitors, which was positively reflected on the preparation of its own squares, and the interest in decorating the urban surroundings and the care of preparing processions with costumes and equipment (for players and horses), and the enactment of decrees, given that Playing places necessarily requires aesthetic preparation, which necessitated the inclusion of this game as one of the important elements in the state's budget plan, as it called for attention to the physical health of its practitioners, which was reflected in the medical specialization. What is new about this game in the Mamluk era (648 AH- 1250AD/923 AH- 1517AD), with its two parts (Al-Bahri and Al-Burji)?, and what are the effects of playing it on the state and the individual?

Keywords: Ball; Game; The scepter; The gokan; Fields; Mamluks; Navy; Tower; The castle; Tear up.

المقدمة: شهدت مصر وبلاد الشام عبر تاريخها، وصولاً إلى العهد المملوكي عدّة أحداثٍ، تخلّلتها فتراتٌ للترفيه والتسلية ظاهراً، لكنّ باطناً كان يسعى أصحابها لتحقيق غاياتٍ على عدّة مستويات، فكانت لعبة الكرة أهمّ ما قد يجده الدارسون لهذه الفترة الزمنية (648هـ- 923هـ/1250-1517م)، باعتبارها لعبةً احترفاً الهواة من القصور، وعلى رأسهم الحكّام المماليك، فطوّروها لما يخدم أغراضهم الشخصية خاصة في الرفعة والسُّموّ وأيضاً لخدمة مصالح الحكم، وإبراز هيبة مصر وبلاد الشام أمام الأعداء والأحباب، مع ترسيخ بعض الأسس والعادات والتقاليد الاحتفالية، وتجسيد المشاكل في التواصل بين واقع المماليك الحكّام ومن سبقهم في الحكم، فإلى أيّ مدى جسّدت لعبة الكرة كلّ هذا؟

1- أصل لعبة الكرة وميادينها: لا يوجد ذكرٌ لأصل هذه اللعبة ضمن المصادر التي طالعناها، وترجّح بعض الدراسات أنّ أصلها فارسي وعندهم نقلها العرب، وعُرفت باسم "لعبة الكرة" أو

"ضرب الكرة" أو "الأكرة"، والاسم الشائع لها "لعبة الكرة"، والصَوْلجان¹، وكلماتها كلها فارسية مثل، الجُوكندار² وغيرها، واشتهرت اللعبة في العصر العباسي فقد أورد لنا الجيهشاري (ت331هـ/942م) أَنَّ الخليفة العباسي المهدي، أبا عبد الله، محمد بن المنصور (158-169هـ/755-786م) قد لعبها، من خلال البيت الشعري الذي هجاه به الشاعر بشار بن بُرد³ قال: خَلِيفَةُ يَزْنِي بِعَمَّاتِهِ يَلْعَبُ بِالدُّبُوقِ وَالصَّوْلَجَانِ⁴.

كما نجد ذكراً للصَوْلجان ضمن المصادر المملوكية (648-923هـ/1250-1517م) لمصر وبلاد الشام، والغالب ذكرها للعبة الكرة بشكل عام ولم تذكر، ماذا تعني تلك الكرة أو اللعبة، إلا فيما فيما ذكره النُوري (ت733هـ/1334م) ضمن بيت شعري استشهد به في ذكر عود السلطان الملك الناصر إلى السلطنة ثانياً (698-708هـ/1300-1309م) وذكر خبر هزيمة التتار "كان المصاف المبارك في يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم سنة 702هـ/1303م، وهزيمة التتر في يوم الأحد بعد الظهر، وقد ذكر الناس هذه الغزوة نظماً وشعراً، وعمل الشعراء قصائد كثيرة، وها نحن نذكر منها قصيدة نظمها القاضي الفاضل جمال الدين أبوبكر عبد القاهر، ابن الشيخ نجم الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الواحد بن محمد التبريزي الشافعي، قاضي عجلون وخطيبها، وهي من البسيط:

لَهَا السَّنَابِكُ فِي الْمَيْدَانِ قَدْ حُنِيَتْ صَوَالِجًا وَلَهَا رُوسُ الْعِدَا أَكْرُ⁵

(1) قرحيلي جميل نبيل- الاحتفالات في عصر المماليك (648-922هـ/1250-1516م)- رسالة ماجستير- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق- سوريا- (14431-2010م)، ص25.

(2) الجُوكندار، لقب يُطلق على الذي يحمل الجُوكان مع السلطان في لعب الكرة، يُجمع على جُوكان دارية، مركب من كلمتين فارسيتين، أحدهما: "جُوكان"، هو المَخْن الذي تُضرب به الكرة، ويُعبر عنه بال"صَوْلجان"، و"دار" معناها "ممسك"، والجُوكان دار: "ممسك الصَوْلجان"، والعامة تقول: "جُكندار". أنظر- الفلقشندي أبوالعباس أحمد- كتاب صُبح الأعشى- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة- مصر- (1340هـ/1922م)- ج5-ص485.

(3) بشار بن بُرد، من طُغراستان، من سني المُتَلَب بن أبي صُفْرة، كنيته أبو مُعَاذ، لقبه "المُرْعَث". أنظر البغدادي عبد القادر بن عمر- خزانة الأدب ولبّ لسان العرب- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر- ط4- 1418هـ/1997م، م3، ص230؛ زمي بالزندقة، فأمر المهدي الخليفة بضره، فُضِر سبعين سوطة، فمات سنة 168هـ/785م. البغدادي: نفس المصدر، ص231.

(4) الجيهشاري أبو عبد الله محمد بن عبدوس- كتاب الوزراء والكتاب- قدّم له حسن الزين- دار الفكر الحديث للطباعة والنشر- بيروت- 1408هـ/1988م، ص101/البغدادي: المصدر السابق، م3، ص231.

(5) النُوري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب- نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق- الدكتور الأستاذ إبراهيم شمس الدين- ط1- دار الكتب العلمية- بيروت- 1424هـ/2004م- ج32- ص33- وما بعدها.

وارتبطت التسلية والترفيه عن النفس بالحكام في مصر منذ العهد الطولوني(254-292هـ/868-905م)، بدءًا ببناء المنتزهات الممثلة في البساتين والميادين التي تعكس مدى اهتمام حكامها بفن العمارة، بما فيها الجوامع والبيمارستانات، "ففي عهد أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م)¹، تمّ بناء الجامع على جبل يشكر، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء...، وأنفق عليه ألف دينار، وعلى حصن الجزيرة ثمانين ألف دينار، وعلى الميدان خمسين ألف دينار²، لأنّ أحمد بن طولون نشأ في زمن السلم³، واهتمّوا بتشيد القصور مع ميادينها⁴، ففي سنة 255هـ/869م جعل ابن طولون قصرًا كبيرًا فيه ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة⁵؛ بل سمي القصر كلّ "الميدان"، وعمل له أبوابًا، لكلّ منها اسم، ولا تُفتح كلّها إلّا في يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم صدقة⁶..

وانتقل الاهتمام بالعمارة إلى من خلفه؛ ففي سنة 270هـ/884م، فلمّا ملك حُمارويه (270-282هـ/884-895م)⁷ الديار المصرية أقبل على عمارة قصر أبيه، وزاد فيه محاسن، وأخذ الميدان الذي كان له المجاور للجامع فجعله كلّ بستانًا، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر، وحمل إليه كلّ صنف من الشجر المطعم وأنواع الورد⁸، وفي سنة 270هـ/884م بنى ميدانًا آخر أكبر من ميدان أبيه⁹، والمهمّ أنّه في عهد الحكم الطولوني لمصر

(1) أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م)، الأمير أبو العباس، كان الخليفة العباسي المعتز بالله محمّد بن المتوكل (252-255هـ/866-869م) قد ولّاه مصر، ثمّ استولى على دمشق والشام، توفي ليلة الأحد لعشر بقين من شهر ذي القعدة سنة 270هـ/884م- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر- وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان- حققه إحسان عباس- دار صادر- بيروت- ط1- 1414هـ-1994م- ج1- ص174.

(2) ابن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن يوسف- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة- ج3- ص12.

(3) Daniel Beaumont- Political Violence and Ideology in mamluk society- University of Rochester. Mamluk Studies Review VIII (2004)-p117. Middle East Documentation Center (MEDOC) THE University of Chicago.

(4) الميدان، الميدان، من الأرض متسعة، معدة للسباق أو للرياضة، يقال: "ميدان السباق، وميدان الكرة". أنظر- المعجم الوجيز- معجم اللغة العربية- مطابع ركة الإعلانات الشرقية- دار التحرير للطبع والنشر- 1989م- مادة امتاخ- ص596.

(5) ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج3- ص16.

(6) نفسه.

(7) حُمارويه (270-282هـ/884-895م)، أبو الجيش، حُمارويه بن أحمد بن طولون، وليّ في عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله (256-279هـ/870-893م)، ولمّا تولّى الخليفة المعتمد بالله (279هـ/889-902م) يادر إليه حُمارويه بالهدايا، فأقرّه، قتله غلماناه بدمشق يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 282هـ/895م. ابن خلكان، المصدر السابق- ج2- ص250.

(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص53.

(9) نفسه، ج3، ص57.

كان هناك اهتمامٌ بلعب الكرة، كما نجد ذلك في العهود التي تلتها؛ ففي سنة 564هـ-1169م حادي عشرة رجب ركب السلطان بالخلع¹، وبرز للعب الكرة².

واهتم وزراء الفاطميين بالكرة؛ فقد ذكر ابن الأثير (ت630هـ/1234م) أنه في سنة 526هـ-1132م خرج الوزير أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي، وزير الحافظ لدين الله العلوي (524-544هـ/1131-1182م) صاحب مصر³ في العشرين من المحرم من هذه السنة إلى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه، فكمن له جماعة منهم، مملوك إفرنجي كان للحافظ فخرجوا عليه، فحمل الفرنجي عليه، فطعنه فقتله وحرّوا رأسه⁴، كما لعبا أيضًا محمود بن زنكي بن أقي سُتُنْقَر، أبو القاسم الملك العادل نور الدين -رحمه الله-⁵، فقد ذكر سبط ابن الجوزي (ت654هـ/1257م) أنه "كان يلعب بالكرة كثيرًا"⁶، أما في العهد الأيوبي (569-648هـ/1174-1251م)، فقد ارتبط لعب الكرة بالسرور والتعبير عن فرحة الانتصار عن الأعداء، ففي سنة (635هـ-1238م)، ولما بلغ شيركوه⁷ صاحب حمص وفاة الملك الكامل ناصر

(1) الخُلعة، ما تخلعه من الثياب، ونحوها، ويقال: "خَلَعَ عليه خُلَعَتَهُ": أي: "أعطاه أو ألبسه إياها"، جمع: خُلَع. المعجم الوجيز، مادة: خَلَع. ص208؛ الخلع، الخلعة ثوبٌ يلبسه الحاكم، ويمنحه هديةً بعد أن يخلعه، وتطوّر مفهوم الخُلعة في العصر المالكي، وأصبح هديةً شائعة، حتّى أنّ موظّفي الدولة اعتبروا ذلك حقًّا مكتسبًا كمرتباتهم. أنظر- ابن فضل الله الغمري- مسالك الإبطار في ممالك الأمصار- مسالك الإبطار في ممالك الأمصار- أشرف على تحقيق الموسوعة كامل الجبوري- حقّق هذا السفر- مهدي النجم- دار الكتب العلميّة- بيروت- ج3- ص54.

(2) المقرئ بن تقي الدين أبو العباس أحمد الغبيدي- السلوك لمعرفة دول الملوك- تحقيق محمد عبد القادر عطا- ط1- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1418هـ/1997م- ج1- ص152.

(3) الحافظ لدين الله حكم في الفترة (524-544هـ/1131-1182م)، أبو ميمون عبد المجيد ابن الأمير محمد بن الخليفة المستنصر بالله محمد بن علي بن منصور بن نزار بن مُعَدَّ بن إسماعيل بن محمد بن عُبيد الله.

(4) ابن الأثير الجزري عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشُّبَّاني- الكامل في التاريخ- راجعه وصحّحه محمد يوسف الدقاق- ط4- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1424هـ/2003م- ج9- ص261؛ في سنة 526هـ/1132م ذكر مقتل أبي علي، وزير... والسبب أنه كان قد حجر على الحافظ، ومنعه أن يحكم في شيء من الأمور، وأخذ ما في القصر، والخلافة إلى داره، وأسقط من الدعاء ذكر إسماعيل، وكان الوزير إمامي. ابن الأثير- المصدر نفسه- ج10- ص261.

(5) محمود بن زنكي بن أقي سُتُنْقَر، أبو القاسم الملك العادل نور الدين ولد سنة 511هـ/1118م، فتح الموصل والشام...، توفي يوم الأربعاء 11 شوال سنة 569هـ/1174م. سبط ابن الجوزي شمس الدين أبو المطر، يوسف بن قزّ أوغلي بن عبد الله- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان- حقّقه وعلّق عليه إبراهيم الزُّبَيْق- ط1- دار الرسالة العالميّة- دمشق- الحجاز- الجمهورية العربيّة السوريّة- 1434هـ/2013م- ج21- ص203-206.

(6) سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص205.

(7) شيركوه (ت637هـ/1240م)، الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي، وكان مُلكه لحمص نحو56 سنة؛ لأنّ صلاح الدين مَلَك حمص سنة 581هـ/1186م بعد موت أبيه ناصر الدين محمد بن شيركوه. ابن فضل الله الغمري- مسالك الإبطار في ممالك الأمصار- أشرف على تحقيق الموسوعة كامل الجبوري- حقّق هذا السفر- مهدي النجم- حوادث تاريخ الإسلام من 541-744هـ- دار الكتب العلميّة- بيروت- ج27- ص206.

الدين محمد في دمشق(635-637هـ/1238-1240م) فرح فرحاً عظيماً، وأتاه فرحٌ ما كان يطمع نفسه...، ولعب الكرة خلاف العادة وهو في عشر السبعين¹.

كما ذكر أمرُ الكرة في مسألة قتل المعزّ التركماني(648-655هـ/1250-1258م)؛ ففي سنة 655هـ/1258م قُتل المعزّ، قتلته امرأته شجر الدر التي كانت امرأة أستاذه الملك الصالح أيوب² في الحمام بعد عودته من لعب الكرة في النهار المذكور³، ففي سنة 660هـ/1263م ذُكر لركوب السلطان ركن الدين بيبس البندقداري (658-676هـ/1261-1278م) إلى الميدان بدمشق ولعبه بالكرة⁴، وأنه كان بمعية بعض الأمراء⁵، وكان لعبها سبباً في وفاة السلطان السعيد بركة خان(676-678هـ/1278-1280م)⁶، ففي سنة 678هـ/1280م توفي السعيد بركة بن الظاهر بالكرّك⁷...، وسبب موته أنه لعب بالكرة في سيوان الكرّك⁸.

ويمكن أن تلعب الكرة في أي مكانٍ فسيحٍ بريّ؛ ففي العهد المملوكي(648هـ-1250م/923هـ-1517م) كانت تلعب في الميادين، وليس كلّ الميادين مخصّصة لها؛ فالميدان قد يصلح للصلاة سنة 709هـ/1310م، يوم الجمعة ثاني عشره (شعبان) خطب بدمشق الملك ناصر الدين محمد في فترة حكمه الثالثة(709-741هـ/1310-1341م) صلّيت الجمعة

(1) ابن فضل الله الغمري- المصدر نفسه- ص200.

(2) الملك الصالح، أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب، ملّكه لمصر تسع سنين وكشر، ورّتب جماعةً من المماليك الترك حول دهلزيه، توفي سنة 647هـ/1250م. ابن الوردي زين الدين عمر بن مُظفّر، تاريخ ابن الوردي، قدّم له العلامة الجليل السيّد محمد مهدي السيّد حسن الموسوي- ج1- ط2- المطبعة الحيدريّة- النجف- 1389هـ/1969م- ج2- ص265.

(3) ابن فضل الله الغمري- المصدر السابق- ج27- صص240، 241.

(4) التّويري- نهاية الأرب- ج30- ص26.

(7) نفسه- ج31- ص205.

(6) السعيد بركة خان الملك السعيد، ناصر الدين أبو المعالي محمد، المدعو "بركة خان"، ابن السلطان الملك الظاهر بيبس البندقداري الصالحي النجفي، الخامس من ملوك الترك بمصر، سمي على اسم جدّه لأّمه، ملك التتر بن دولة خان الخوارزمي، تسلطن في حياة أبيه الظاهر صوره، في يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة(662هـ/1265م)، وكان مولده في صفر سنة(658هـ/1261م)، ومات يوم الجمعة 11 ذي القعدة سنة 678هـ/1280م. أنظر- ابن تغري بردي الأتابكي- مورد اللطافة في منّ ولي السلطنة والخلافة- تحقيق وتعليق نبيل محمد عبد العزيز أحمد- مطبعة دار الكتب المصريّة- القاهرة- مصر- 1997م- صص35، 36.

(7) الكرّك، يفتح أوله وثانيه، كلمة أعجميّة، اسمٌ لقلعة حصينة في طرف الشام، وهي على سنّ جبل، تحيط بها أوديةٌ إلّا من جهة الرّنض. أنظر- ياقوت الحموي أبو عبد الله الزّومي البغدادي- معجم البلدان- تصحيح وترتيب محمد أمين الخانجي الكتي- ط1- مطبعة السّعادة- مصر- 1324هـ/1906م- ج3- ج4- ص453: الكرّك، مدينة، ذات قلعة تُعرف بكرّك الشّؤنك، والشّؤنك أقدم، كانت ديرًا يتديّرهُ الرهبان، ثم كُثروا، فكثروا بناءه، وهو في مكانٍ صعب، اتخذته الملوك المالها جزّاء، ولما كثرّا. ابن فضل الله الغمري- مسالك الإبصار- ج3- ص777.

(8) ابن فضل الله الغمري- المصدر نفسه- ج27- ص286.

بالميدان¹؛ إذ اشتهر البعض منها باحتضانه لهذه اللعبة؛ فمنها ما ذكره القلقشندي في حديثه عن هيئة الملك أو الحاكم الرابعة، هيئته للعب الكرة بالميدان الأكبر²، وذكر المقرئ في خطته مجموعة من الميادين التي اشتهرت بلعبة الكرة بعد أن تمّ تهيتها لها منها:

أ- الميدان الصالحي، بأراضي اللوق، كان أولًا بستانًا، يُعرف ببستان الشريف بن ثعلب، فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، في رجب سنة 643هـ/1246م، وجعله ميدانًا وأنشأ فيه مناظر جليلة تُشرف على النيل، وصار يركب إليه ويلعب فيه الكرة³.

ب- الميدان الظاهري، بطرف أراضي اللوق، يُشرف على النيل، أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري... لعب فيه بالكرة هو ومن بعده إلى سنة 714هـ/1315م؛ فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إليه وخرّب مناظره وعمله بستانًا...⁴.

ت- ميدان سرياقوس⁵، يقع شرقي ناحية سرياقوس بالقرب من الخانقاه⁶، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة 723هـ/1324م، وبنى فيه قصورًا وعدة منازل للأمرأ... فلما كمل في سنة 725هـ/1326م خرج ومعه الأمراء والأعيان... واستمرّ يتوجّه إليه في كلّ سنة، ويقوم به الأيّام يلعب فيه بالكرة إلى أن مات⁷.

وتلعب الكرة خارج الميادين؛ ففي سنة 678هـ/1280م لعب السلطان السعيد الكرة في سيوان الكرك⁸، والميادين بالإسكندرية: "ففي سنة 662هـ/1265م عاد السلطان بركة خان إلى الإسكندرية... لعب الكرة بميدانها⁹، وفي نفس هذه السنة يوم العاشر من ذي القعدة

(1) المقرئ- السلوك- ج 2، ص 440.

(2) القلقشندي- كتاب صبح الأعشى- ج 4- ص 47.

(3) المقرئ تقي الدين أحمد بن علي- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية- تحقيق الدكتور محمد زهنم- مديحة شرقاوي- راجعه وضبطه همام أحمد أحمد زيادة- ط 1- طبع بمطابع دار الأمين- القاهرة- 1997م- ج 3- ص 26.

(4) المقرئ- المصدر نفسه- ص 27.

(5) سرياقوس، بُليدة في نواحي القاهرة بمصر. أنظر- ياقوت الحموي- المصدر السابق- (مادة سري)- ج 3- ص 218.

(6) الخانقاه، كلمة فارسية، تعني: "محلًا للتعبّد، والتّزهد، والبُعد عن الناس". دهمان محمد أحمد- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي- ط 1- دار الفكر المعاصر- بيروت- دار الفكر، دمشق- 1410هـ/1990م- ص 66.

(7) المقرئ- الخطط المقرئية- ج 3- ص 30.

(8) ابن فضل الله الغمري- المصدر السابق- ج 27- ص 286.

(9) الثوري- نهاية الأرب- ج 30- ص 68.

عاد إلى الإسكندرية لعب الكرة بالميدان¹، وهناك ميادينٌ خارجها، ففي سنة 668هـ/1270م رحل السلطان إلى الإسكندرية في حادي عشره، ولعب الكرة ظاهرا الإسكندرية². وهناك ميادينٌ بدمشق، ففي سنة 660هـ/1263م ذكُر ركوب السلطان إلى الميدان بدمشق ولعبه بالكرة³، وفي سنة 713هـ/1314م في يوم الثلاثاء حادي عشر(محرم) قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق...، ولعب يوم السبت في الميدان بالكرة⁴، وقد تُلعب الكرة في غير الميادين، ففي محرم سنة 577هـ/1182م خيم السلطان في بركة الجُب للصيد ولعب الكرة⁵، وفي سنة 804هـ/1403م في شهر ذي القعدة فلعب الأمراء بالأكرة في بيت الأمير بيبرس⁶، وفي سنة 882هـ/1478م لما نزل الأشرف قايتباي(872-901هـ/1469-1497م)، فأقام هناك ثلاثة أيام، ولعب بالكرة في الفضاء⁷.

واستمرّ بناء الميادين، ففي سنة 713هـ/1314م ابتداء السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة...، فلما فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة⁸، ويبدو أنه هو، الميدان الجديد، ففي سنة 716هـ/1317م سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان، وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة⁹، وفي سنة 747هـ/1347م يوم الثلاثاء أول محرم ركب السلطان في أمرائه الخاصكية¹⁰، ولعب بالكرة في الميدان تحت القلعة¹¹، وفي سنة 748هـ/1348م استمرّ السلطان على الانهماك في لهوه، وصار يلعب في الميدان تحت

(1)المقريزي-السلوك- ج2- ص14.

(2) نفسه- ج2- ص ص63، 64.

(3) التّويزي- المصدر السابق- ج30- ص26.

(4) المقريزي- السلوك- ج2- ص485.

(5) نفسه- ج1- ص186.

(6) المقريزي- المصدر نفسه- ج6- ص78.

(7) ابن إياس الحنفي محمّد بن أحمد- بدائع الزهور في وقائع الدهور- حقّقها وكتب لها المقدّمة والفهارس محمّد مصطفى- الهيئة المصريّة العامة للكتاب- القاهرة- 1404-1984م- ج3- ص132.

(8) المقريزي- السلوك- ج2- ص486.

(9) نفسه- ص518.

(10) الخاصكية، لفظ مملوكي، مفردة "الخاصكي، هم: من الممالك السلطانية يختارهم السلطان من الممالك الأجلاّب الذين دخلوا في خدمته صغارًا، ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الاسم خاصًا بهم؛ لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه، ويتميزون في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش، ويتوجّهون في المهمّات الشريفة، ويتأقنون في مركوبهم، وملبوسهم. دهمان محمّد أحمد- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي- ص67.

(11) المقريزي- السلوك، ج4، ص43.

القلعة بالكرة في يومَي الأحد والثلاثاء¹، وفي سنة 720هـ/1321م أنشأ السلطان الناصر ناصر الدين محمد في فترة حكمه الثالثة(709-741هـ/1310-1341م) ميدان المهارة...، ولعب فيه بالكرة مع الأمراء، وصار يتردد إليه².

وفي سنة 721هـ/1322م عُقِبَ هُدمُ الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، ابتداءً بيوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، لأنَّ الميدان الكبير المطلَّ على النيل لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه يوم السبت المذكور، وكان أولَّ لعبه فيه بالأكرة³، كما قد يكون اللعب بالكرة داخل القلعة⁴، ففي سنة 746هـ/1346م لعب السلطان الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد(746-747هـ/1346-1347م) مع الأمراء بالكرة في الميدان بالقلعة⁵، وفي سنة 776هـ/1375م أولَّ شهر ربيع الآخر ركب السلطان الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين(764-778هـ/1364-1377م) من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصري بشاطئ النيل للعب بالكرة على العادة في كلِّ سنة⁶.

وهناك اختلاف في تحليل أو تحريم هذه اللعبة، أنهاه الإمام القاضي الإمام السُّبُكِي (ت771هـ/1370م)⁷ "وما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال، وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال والإدبار، والكرّ والفرّ⁸، وهو نفس مقصد نور الدين زنكي(ت569هـ/1174م) من لعبه بالكرة، فقد كتب إليه بعض الصالحين يُنكر عليه: "إنَّك تُتعب الخيل في غير فائدة"، فكتب إليه: "والله ما أقصد اللعب، وإنَّما نحن في ثغرٍ،

(1) نفسه- ص51.

(2) نفسه- ج3- ص30.

(3) نفسه- ص39-49.

(4) قلعة الجبل، على نشز عالٍ يسمَّى "الجبل الأحمر"، بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله، ولم يسكنها، حتَّى ملك أخوه الملك العادل أوبكر. فسكنها، يُدخل إلى القلعة من بابين: أحدهما، بابها الأعظم مواجه القاهرة، والثاني، ينفذ إلى القرافة. ابن فضل الله العُمرِي- المصدر السابق- ج3- ص333.

(5) المقرئ- السلوك، ج4، ص27.

(6) نفسه- ص373.

(7) تاج الدين السُّبُكِي(727-771هـ/1328-1370م)، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبُكِي، أبو نصر، قاضي القضاة المؤرِّخ الباحث، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها، وتوفيَّ بها، نسبته إلى "سُبُك"، من أعمال المنوفية بمصر، وكان طلق اللسان، انتهى إليه قضاء الشام، وغُزل، وتعبَّ عليه شيوخ مصر، فاتهموه بالكفر، توفيَّ بالطاعون. الزركلي (خير الدين بن محمود الدمشقي- الأعلام- دار العلم للملايين- ط5-

أيار- ماي 2002م- ج4- ص184.

(8) السُّبُكِي- معيد النعم- ص47.

والعدوُّ منّا قريب، فرّبما وقع صوّت، فتكون الخيل قد أدمنت على سرعة الانعطاف بالكرّ، والفِرّ، فإذا طلبنا العدوُّ أدركناه، ولو تركناها بحالها لصارت جَمَامًا، لا يُنتفع بها، فنيّتي في لعب الكرة هذا"، وكان يومًا يلعب بالكرة في ميدان دمشق¹.

كما التفت بعض المؤرّخين إلى ذكر ضرورة احترام أصول اللعبة، خاصةً في الهيئة سنة 747هـ/1347م ركب السلطان المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمّد (747-748هـ/1347-1348م)، ثم قُتل السلطان الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمّد (746-747هـ/1346-1347م) في يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى وقت الظهر كُثِرَ التظاهر فيها بالمنكرات لشغفه باللهو واللعب...، واللعب بالكرة بالهيئة الجميلة²، وكان من الضروري وقتها عدم خروج اللعبة إلى غير السلطان ومقرّبيه، ففي سنة 748هـ/1348م كان السلطان (أخ السلطان المذكور) يلعب مع العوام...، ثم يلعب معهم... وبالكرة...³.

2- مواعيد لعبة الكرة وتطوّرها: كانت لعبة الكرة هواية فردية، لعبها السلطان بمفرده، واختلفت مواعيد لعب الكرة حسب العصور والحكّام، ففي العهد الأيوبي (567-648هـ/1172-1251م) تمّ اللعب في شهر رجب"، وفي سنة 567هـ/1169م حادي عشرة رجب ركب السلطان الناصر صلاح الدين (567-588هـ/1172-1193م) بالخلع...، فلمّا بلغ باب زويلة نزعها، وبرز للعب الكرة⁴، وفي محرّم سنة 577هـ/1182م خيم السلطان في بركة الجبّ للصيد، ولعب الكرة⁵، كما ذكر ما كان من تغيير لزيّ السلطان، وتاريخ انتهاء لعبها، ففي سنة 874هـ/1471م ذي القعدة قلع السلطان الصوف، ولبس البياض...، وفي ذي الحجة انتهى ضرب الكرة⁶، فتاريخ انتهاء اللعب بالكرة متغيّر، فبعد ما كان في شهر ذي الحجة وذي القعدة، صار في صفر؛ ففي سنة 912هـ/1507م كان ختام ضرب الكرة⁷.

(1) سبط ابن الجوزي- مرآة الزمان- ج 21 - ص ص 205، 206.

(2) المقرئ- السلوك- ج 4- ص ص 33، 34.

(3) نفسه- ص 55.

(4) نفسه- ج 1- ص 152.

(5) نفسه- ص 186.

(6) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 3- ص 45.

(7) نفسه- ج 4- ص 95.

اقتصِر لعبُ الكرة في عهد المماليك البحريّة¹ (648-784هـ/1251-1383م) على شهر ذي القعدة، ثمّ بدأ التحوّل إلى شهر صفر، ممّا يؤكّد وجود تقديم وتأخير في الأشهر عندهم ففي سنة 678هـ/1280م في ثاني ذي القعدة ركب السلطان الناصر ناصر الدين محمّد في مدّة حكمه الأولى (693-694هـ/1295-1296م) إلى الميدان ولعب الكرة، وهو أوّل ما ركب إليه²، فمن شعار سلطنة هذه المملكة أن يركب سلطانها في يوم دخوله إلى مدينة يحبّها ويوم العيد، وأيّام ركوبه إلى الميدان للعب الكرة برقبة، وهي بَزْرَاكِشٍ ذهبٍ على أطلس أصفر يُعمل على رقبة الفرس من تحت أذنيه³.

كما لعب في سنة 678هـ/1280م في شهر ذي القعدة الملك السعيد بركة خان ابن الظاهر بيبرس بالكرك، وكان قد ركب في الميدان⁴، وفي سنة 693هـ/1295م يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة ركب السلطان الناصر ناصر الدين محمّد في مدّة حكمه الأولى (693-694هـ/1295-1296م) إلى الميدان، ولعب بالكرة⁵، وفي سنة 697هـ/1299م في حادي عشر صفر، ركب السلطان الناصر ناصر الدين محمّد في مدّة حكمه الثانية (698-708هـ/1300-1309م) بعدما انقطع لما به من كسريده نحو الشهرين، ونزل إلى الميدان...⁶، وقد انفرد السلطان في لعب الكرة لعدّة سنوات، ثمّ صارت لعبة الكرة جماعيّة بين السلطان وأمرائه، ونوضّح ذلك في الآتي، مع الأعطيات في نهاية اللعب، أمّا في زمن سلاطين المماليك البُرْجيّة⁷ (784-790هـ/1383-1389م)، فنسجّل الآتي:

في سنة 913هـ/1508م، في صفر كان ختام ضَرْب الكرة⁸، وفي سنة 914هـ/1509م في المحرّم ابتداء السلطان بضرب الكرة⁹، وفي سنة 916هـ/1511م في ربيع الآخر كان ختم ضَرْب

(1) المماليك البحريّة، أمراء الملك الصالح أيوب بن الكامل محمّد بن العادل أبي بكر ابن أيوب مماليكه التُرك خاصّة الذين رتّب جماعة منهم حول دهليزه، وسَمّاهم "البحريّة". ابن الوردي- تاريخ ابن الوردي- ج2- ص 265.

(2) المقرئزي- السلوك- ج2- ص 126.

(3) ابن فضل الله العُمرّي- مصدر سابق- ج3- ص 290.

(4) المقرئزي- السلوك- ج2- ص 126.

(5) نفسه- ج2- ص 281.

(6) نفسه- ص 283.

(7) البُرْجيّة، هم من مماليك السلطان، وقد كان السلطان المنصور قلاوون أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف من الجركس، والأص، وجعلهم في أبراج القلعة، وسَمّاهم بـ"البُرْجيّة". النُويري- نهاية الأرب- ج32 - ص 104.

(8) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص 115.

(9) نفسه- ص 131.

الكرة¹: إذ كان يتدئ في يومَي السبت والثلاثاء، من شهرَي صفر وربيع الأول، أما النهاية ففي ربيع الآخر أو جمادى الأولى، وفي سنة 917هـ/1512م في يوم الثلاثاء، ثاني عشرينه من شهر صفر ضرب السلطان الأشرف قانصوة الغوري (906-922هـ/1502-1517م)²، وفي سنة 917هـ/1512م في يوم الثلاثاء، ثامن عشرينه من شهر صفر، عزم السلطان على قاصد الصوفي في الميدان وضرب الكرة هو والأمراء المقدمين قدامه، فلمّا انتهى ضرب الكرة دخل السلطان الأشرف قانصوة الغوري³ التي أنشأها⁴.

وفي سنة 917هـ/1512م في يوم الثلاثاء خامسه (ربيع الآخر) كان ختام ضرب الكرة بالميدان⁵، وفي سنة 918هـ/1513م، وفي يوم السبت في العشر الثالث من هذا شهر ربيع الأول ابتداء السلطان الأشرف قانصوة الغوري بضرب الكرة؛ فلعب هو والأمراء بالميدان، وفي ذلك اليوم (يوم السبت ثاني عشرة ربيع الأول) ضرب السلطان الكرة بالميدان⁶، وفي سنة 918هـ/1513م ربيع الآخر، في يوم الثلاثاء تاسع عشرينه كان ختام ضرب الكرة بالميدان⁷، وهناك سنوات لم يلعب السلطان بالكرة لأسبابٍ أمنيّة تتعلّق باستقرار السلطنة أو لأسبابٍ تمسّ شخصه صحياً، ففي سنة 740هـ/1340م لم يركب السلطان الناصر ناصر الدين محمد في مدّة حكمه الثالثة (709-741هـ/1310-1341م) إلى الميدان للعب الكرة، فإنّ الأمراء لمّا تأخّرت عقوبة النشؤ⁸ تنكروا للسلطان وتنكّر لهم⁹، وفي سنة 919هـ/1514م في شهر ربيع

(1) نفسه- ص186.

(2) نفسه- ص215.

(3) البحيرة، مدينة ذات قلعة، تُعرف ب"كرك الشؤيك"، والشؤيك أقدم منها، وهي مدينة محدثة، كانت ديراً للرهبان، ثم كُتروا، فكُتروا ببناءه، وكُتروا أبناءه، وأوى إليهم أناسٌ من مجاورهم من النصارى، فقامت لهم به أسواق، ودرت لهم به معاش، وأوت إليه الفرنج، فأدارت أسواره، فصار مدينة مشهورة، ثم بنوا زمان السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب، ومكانه صعب المرتقى، وماؤها من مطر السماء. ابن فضل الله العُمري- المصدر السابق- ج3- ص377.

(4) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص220.

(5) نفسه- ص229.

(6) نفسه- ص253-265.

(7) نفسه- ص269.

(8) النشؤ، شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله، المعروف بالنشؤ، ناظر الخاص، في يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر، كان أبوه يكتب عند الأمير بكتمر الحاجب، وهو ينوب عنه، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركتمر الجمدار، ثم ولى استيفاء الدولة، ثم باشر ديوان الأمير أنوك ابن السلطان، وأكره، حتّى أظهر الإسلام، وولّى نظر الخاص السلطاني،.... توفي في يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر 291 سنة (740هـ/1340م).

المقريزي- السلوك، ج3- ص83-273.

(9) المقريزي- السلوك، ج3، ص273.

الآخر أبطل السلطان الأشرف قانصوة الغوري ضرب الكرة، بسبب ذلك العارض الذي حصل له في عينه...¹.

وقد يلعب السلطان الكرة لتطمئن الرعيّة عن تحسّن وضعه الصحيّ؛ ففي سنة 920هـ/1515م في يوم السبت ثامن عشرة ربيع الأوّل، ابتدأ السلطان الأشرف قانصوة الغوري بضرب الكرة في الميدان، فطلع إليه الأمراء، فلم يضرب الكرة إلّا ضربًا هينًا لأنّه كان مريضًا، يقال: "إنّ السلطان ضرب الكرة في هذه السنة"²، والظاهر أنّه سرعان ما تحسّن؛ فلعب في نفس السنة الكرة، ففي سنة 920هـ/1515م في يوم السبت سادس عشره (ربيع الآخر) ضرب السلطان الكرة بالميدان³.

أمّا في سنة 920هـ/1515م في جمادى الأولى، كان مستهلّ الشهر يوم السبت، فجلس السلطان الأشرف قانصوة الغوري بالميدان، وطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّووه بالشهر، وفي ذلك اليوم كان ختام ضرب الكرة⁴، وفي سنة 921هـ/1516م في يوم السبت خامس عشرينه ربيع الآخر كان ختام ضرب الكرة، فلعب السلطان الأشرف قانصوة الغوري الكرة في الميدان⁵، وهذا يختلف عمّا كان في العهد المملوكي الأوّل، إذ كان تقديم الأعطيات وأداء الصلاة قبل اللعب، أمّا في سنة 668هـ/1270م، فقد صلب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري(658-676هـ/1260-1277م) صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، ثمّ رحل السلطان إلى الإسكندرية في حادي عشره، ولعب الكرة ظاهرة الإسكندرية⁶.

في سنة 713هـ/1314م يوم الثلاثاء حادي عشر (محرم) قدم السلطان الناصر ناصر الدين محمّد(709-741هـ/1310-1341م) من الحجاز إلى دمشق...، ولعب يوم السبت في الميدان بالكرة⁷، أمّا في سنة 713هـ/1314م فابتدأ السلطان الناصر ناصر الدين محمّد في مدّة حكمه الثالثة بعمارة الميدان تحت القلعة...، فلمّا فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع

(1) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 4 - ص 311.

(2) ابن إياس- المصدر نفسه- ص 372.

(3) نفسه- ص 376.

(4) نفسه- ص 380.

(5) نفسه- ص 455.

(6) المقرئ- السلوك- ج 2- ص ص 63، 64.

(7) نفسه- ص 485.

الأمرء بالكرة¹، وكان لعبها في سنة 716هـ/1317م، حيث لعب السلطان الناصر ناصر الدين محمد بالميدان الجديد تحت القلعة في يوم السبت ثامن جمادى الآخرة²، وفي سنة 720هـ/1321م أنشأ السلطان الناصر ناصر الدين محمد ميدان المهار، ولعب فيه بالكرة مع الأمرء³.

ولم يتوقف السلطان عن اللعب، ففي سنة 721هـ/1322م كان عُقَيْب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وخبره أن الميدان الكبير المطل على النيل لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه يوم السبت المذكور، وكان أول لعبه فيه بالكرة⁴، وفي سنة 746هـ/1346م لعب السلطان مع الأمرء بالكرة⁵، وفي سنة 747هـ/1347م يوم الثلاثاء أول محرم ركب السلطان في أمرائه الخاصية ولعب بالكرة⁶، وفي سنة 748هـ/1348م استمر السلطان الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد في ولاية حكمه الأولى(748-752هـ/1348-1352م) كان يلعب في الميدان تحت القلعة في يومي الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان على النيل يوم السبت⁷.

وفي سنة 752هـ/1352م يوم السبت عاشره جمادى الأولى ركب السلطان الصالح صلاح الدين بن محمد بن الناصر محمد(752-755هـ/1352-1355م) والأمرء إلى الميدان على العادة، ولعب فيه بالكرة⁸، فالسلطان هو من يدعو للعب معه، وهو ما حدث كذلك في يوم الخميس جمادى الأولى سابع عشر ركب السلطان إلى الميدان ومعه الأمير ببيغاروس وعليه التشريف وصحبته الأمرء، فلعب السلطان بالكرة⁹، وفي سنة 755هـ/1355م ركب

(1) نفسه - ص486.

(2) المقرئ- المصدر نفسه - ص518.

(3) نفسه- ج3- ص30.

(4) نفسه- ج3- ص39، 49.

(5) نفسه- ج4- ص27.

(6) نفسه- ج4- ص43.

(7) نفسه- ص51.

(8) نفسه- ص144.

(9) نفسه - ص145.

السلطان الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد في ولاية حكمه الثانية(755-762هـ/1355-1362م) في يوم السبت، ثالث شعبان بعدما لعب بالكرة¹.

وقد يلعب السلطان عدة أسابيع في يوم محدد هو السبت، ضاربًا بذلك ما كان من عادة ألا يتجاوز اللعب ثلاث سُبوت، ففي سنة 773هـ/1372م في صفر ركب السلطان الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن الحسين(764-778هـ/1364-1377م) للعب الكرة خمس سُبوت متوالية، ولم يتقدمه لذلك أحد، وإنما العادة أن يكون الركوب بعد وفاء النيل إلى الميدان في ثلاثة سُبوت متوالية، لكنه عاد إلى حالة ثلاثة سُبوت، ففي سنة 780هـ/1379م² جمادى الأولى ركب السلطان المنصور علاء الدين بن شعبان بن حسين (778-783هـ/1377-1382م) ثلاثة سُبوت متوالية إلى الميدان برسم اللعب بالكرة³.

وقد يغتنم السلطان فرصة لعب الكرة لترسيخ ذلك عند وليّ عهده، ففي سنة 776هـ/1375م أول شهر ربيع الآخر ركب السلطان الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن الحسين من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصري بشاطئ النيل للعب بالكرة على العادة في كلّ سنة، وركب علي ولده أمير علي قدامه بين يديه وجعل على رأسه شُطْفَة (تاج)، كما يُحمل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشي في ركابه⁴، وقد يتعدد خروج السلطان للعب الكرة عدة مرّات بيوم السبت، ففي سنة 783هـ/1382م يوم السبت ثامن رجب ركب السلطان الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين(783-784هـ/1382-1383م) إلى الميدان، وفي يوم السبت خامس عشره رجب ركب السلطان إلى الميدان ثانيًا برسم اللعب بالكرة مع الأمراء⁵، وفي سنة 786هـ/1385م يوم السبت تاسع رجب ورابع أيام النسي ركب السلطان الظاهر سيف الدين برقوق في مدّة حكمه الأولى(784-790هـ/1383-1389م) إلى الميدان للعب بالكرة مع الأمراء على العادة في كلّ سنة⁶، وفي سنة 788هـ/1387م

(1) نفسه - ص 206 .

(2) المقرئ- المصدر نفسه- ص 346 .

(3) نفسه- ج 5- ص 50 .

(4) نفسه- ج 4- ص 373 .

(5) نفسه- ج 5- ص 123 .

(6) نفسه- ج 5- ص 167 .

يوم السبت سادس شعبان ركب السلطان سيف الدين برقوق إلى الميدان على العادة، ولعب الكرة مع الأمراء¹.

وتطوّر لعب الكرة إلى غالبٍ ومغلوبٍ، ففي سنة 800هـ/1399م السبت ثاني عشر ذي القعدة عمل السلطان الناصر سيف الدين برقوق في مدّة حكمه الثانية(792-801هـ/1391-1400م) عملاً بالميدان تحت القلعة سببه أنّه لعب بالكرة كالعادة، فغلب الأمير أَيْتَمِش، والتزم أَيْتَمِش بعمل مهمّ بمائتي ألف درهم كؤُفّه غُلب، فقام السلطان عنه بذلك²، كما لعب الأمراء لوحدهم سنة 804هـ/1403م في ذي القعدة بالكرة في بيت الأمير بيربرس³، وفي سنة 810هـ/1408م الخميس خامس ربيع الآخر لعب السلطان الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق(801-815هـ/1400-1413م) بالكرة في الميدان⁴.

3- آثار اللعب بالكرة: كان للعب بالكرة في العهد المملوكي(648-923هـ/1250-1517م) بمصر وبلاد الشام عدّة آثار، معظمها إيجابية نجمها في الآتي:

1- تكريم الأمراء وترقيّة موظفي السلطان: لعب الكرة يعُقبه إعلانٌ عن ترقّيات الأمراء المتعدّدي الأصول، تتضمّن منحهم الخيول، فالعادة أن ينعم صاحب مصر على أمرائه بالخيول مرتين في كلّ سنة، الأولى، عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها، فينعم على الأخصّاء من أمرائه، بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، وتكون خيول المقدّمين منهم مُسرّجة، مُلجّمة بكنابيش⁵ من زركش، وخيول أمراء الطبّلانات⁶، والثانية، عند لعبة الكرة بالميدان، وتكون خيول المقدّمين، والطبّلانات مُسرّجة مُلجّمة بفضّة يسيرة بلا كنباش⁷.

(1) نفسه- ج 5- ص 187.

(2) المقرئ- المصدر نفسه- ج 5- ص 413.

(3) نفسه- ج 5- ص 78.

(4) نفسه- ج 6- ص 194.

(5) الكنباش، جمع كنبوش، البرذعة التي تجعل تحت السرج. الثوري-مصدر سابق-ج 32-هامش 1- ص 104.

(6) طبّلانات أو طبّلانات، طبولٌ تُضرب مع أبواق وآلات موسيقية، فتُسمع أصواتها عدّة مرّات في اليوم على أبواب السلاطين وأبواب أصحاب المناصب العالية، ويقال: "طبول خانات"، يُطلق على كلّ واحدٍ منهم، لقب "رامير طبّلانة"، وتحت إمرة كلٍّ منهم أربعون أو ثمانون فارساً. رينهارت بيتر دوزي- تكملة المعاجم العربية- نقله إلى العربية وعلّق عليه محمّد سليم النعيمي- وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية- 2000م- ج 7- ص 24.

(7) الفلقشندي- كتاب صُبّح الأعشى- ج 4- ص 54.

وفي ذلك تأكيدٌ على طبيعة المجتمع المملوكي القائم على أسسٍ عرقية، فأعضاء الجماعات العرقية المختلفة تميّزوا بشكلٍ واضحٍ من خلال الأسماء التي أُعطيت لهم من خلال لباسهم ومظهرهم وبواسطة المكاتب التي تمكّنوا من شغلها، كان هناك شعور قويّ بالتضامن العرقي بين أعضاء كلّ واحدة¹، ففي ختام لعب الكرة في صفر سنة 912هـ/1507م، حيث جمع السلطان الأمراء، ومدّ لهم مدّة حافلة، وأخرج السلطان له خرجًا من الممالك نحوًا من أربع مائة مملوك، وأخرج لهم خيلًا وقماشًا، ولم يخرج من بعد الفصل سوى هذا، وصاروا يُسمّون الأشرفيّة الغوريّة².

ويرى الإمام السُّبكي أنّ الملك إذا عزم على السفر، وأنعم على بعض حاشيته بفرسٍ، وفرّحه بالفرس يُفرض على وجوه أعلاها: أن يفرح بها لأنّها طريق إلى خروجه في خدمة الملك ونزوله بقربه، وحلوله منه بالمنزلة الدانيّة، وصيرورته من الخاصة بعد أن كان من العامّة، فهذا فرّحه بالفرس لأنّها طريق إلى مشاهدة الملك ومناذمته، لا لأنّها فرس...³، وتوزيع الخيول على الأمراء فيه تأكيدٌ على جودة الخيل المصري، وتمكّن الأمراء الذين في خدمة السلاطين من الفروسية ورياضتها، ويقرّ ابن زولاق أنّه "لا يُعرف في الدنيا فرسٌ يُردف إلّا فرس مصر، بسبب ارتفاع صدره وكانت الخلفاء ومن تقدّمهم يُؤثرون ركوب خيل مصر، فإنّها تجمع فراهة العتيق مع اللحم والشحم"⁴.

في ثاني ذي القعدة سنة 678هـ/1280م ركب السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري إلى الميدان ولعب الكرة، وفرّق السلطان فيه مائة وبضعًا وثلاثين فرسًا بسروجٍ مَحَلّة...⁵، وفي سنة 741هـ/1341م شغف السلطان الناصر ناصر الدين محمّد في مدّة حكمه الثالثة بالخيول، فجلبت له من البلاد، لاسيّما خيول العرب...، ولهذا كان السلطان يكرم العرب،

(1) Koby Yosef- Ethnic Groups- Social Relationships and Dynasty in the Mamluk Sultanate (1250-1517). ASK Working Paper- ISSN 2193-925X Annemarie Schimmel Kolleg History and Society during the Mamluk Era (1250-1517) Heussallee 18-24 53115 Bonn. Editor- Stephan Conermann- p. 3.

(2) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 4- ص 95.

(3) السُّبكي- معيد النعم- ص 9، 10.

(4) ابن زولاق الحسن بن إبراهيم الليثي- فضائل مصر وأخبارها وخواصّها- تحقيق علي محمّد- مكتبة نرجس- ص 98.

(5) المقرئزي- السلوك- ج 2- ص 126.

ويبذل لهم الرغائب في خيولهم، ويتغالي في أثمانها، وكانت له معرفة بالخيول وأنسابها، وذكر مَنْ أحضرها ومبْلَغ ثمنها...¹.

وترك السلطان الناصر بالإسطنبول أربعة آلاف فرسٍ وثمانمائة فرسي²، وللعِب الكرة دورًا في التنشئة العسكرية في اللعب الفردي أو الجماعي، ويعلم أساليب حربيّة، الكرّ والفرّ، والدوران، فإذا أردت الكرّ والفرّ³، وهو ما نصّح به الإمام السُّبكي من فائدة، وفي سنة 713هـ/1314م في يوم الثلاثاء حادي عشر (محرم) قدم السلطان الناصر ناصر الدين محمد من الحجاز إلى دمشق...، لعب يوم السبت في الميدان بالكرة، ثم أخذ في الإنعام على بعض رجال دولته، فولى شمس الدين عبد الله بن غُبريال بن سعيد نظرَ دمشق على قاعدة الوزراء...، وخلع السلطان على الأمراء...⁴.

2- توزيع الأعطيات والأزياء: يتمثل ذلك في خلع السلطان على مقرّبيه وأمرائه، حيث يتم توزيع الكُسوة والحوائص، وقد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخوَص أهل المناصب من حَمَلَة الأقاليم في كلّ سنة بكسوة في الشتاء، وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرّق حوائص من ذهبٍ على بعض الأمراء المقدمين يفرّق في كلّ موكب ميدانٍ على أميرين بالنوبة، حتّى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع، بحسب ما تقع نوبته في ذلك⁵، وفي سنة 716هـ/1317م لعب السلطان الناصر ناصر الدين محمد بالميدان الجديد تحت القلعة في يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيّد صاحب حماة⁶.

وقد يغتنم السلطان فرصة النزول إلى لعب الكرة لتقديم وليّ عهده، ففي سنة 776هـ/1375م أوّل شهر ربيع الآخر ركب السلطان الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن

(1) نفسه- ج 3- ص 303.

(2) نفسه- ج 3- ص 308.

(3) Kjersti Enger Jensen-The Mamluk Lancer (A philological study of Nihāyat al-su'l wa-l-'umniya fi ta'lim 'a'māl al-furūsiya)ARA4590: Master's Thesis in Arabic Studies Thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in the field of Arabic language (60 credits) Department of Culture Studies and Oriental Languages University of Oslo November- 2013-p.30.

(4) المقرئزي- السلوك- ج 2- ص 485.

(5) القلقشندي- كتاب صُبح الأعشى- ج 4- ص 55.

(6) المقرئزي- السلوك- ج 2- ص 518.

الحسين من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصري بشاطئ النيل للعب بالكرة على العادة في كل سنة، وركب علي ولده أمير علي قدامه بين يديه وجعل على رأسه شطفة(تاج)، كما يُحمل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشفي في ركابه، وخلع عليهم أقبية حريز...، وأركبهم الخيول المسومة بالسروج...¹، ما يؤكد حرص السلاطين على الركوب إلى الميدان للعب الكرة على الظهور بشعائر السلطنة كركوب السلطان في موكب الأعياد ما عدا بعض الاختلاف المتمثل في غياب الجتر(التاج)².

وفي سنة 783هـ/1382م في يوم السبت خامس عشره رجب ركب السلطان إلى الميدان ثانيًا برسم اللعب بالكرة مع الأمراء، وخلع على الوزير بجبة نُحَّ بقصب³، وفي نفس السنة، يوم السبت ثامنه ركب السلطان إلى الميدان، كما هي العادة في كل سنة، وخلع على تقي الدين عبد الرحمن ناظر الجيش، وعلى بدر الدين محمد بن فضل الله، كاتب السرّ خلع الميدان...⁴، وفي يوم السبت خامس عشره ركب السلطان إلى الميدان ثانيًا برسم اللعب بالكرة مع الأمراء، وخلع على الوزير بجبة نُحَّ بقصب، فركب بها إلى تحت القلعة، ثم عاد⁵، وفي سنة 920هـ/1515م في يوم السبت سادس عشره (ربيع الآخر) ضرب السلطان الكرة بالميدان، ثم بعد ذلك رسم للأمراء بأن يتخففوا من ثيابهم⁶.

3- تشجيع القطاع السياحي: حافظ السلاطين على مستوى السياحة في مصر ببناء الميادين ففي سنة 741هـ/1341م أنشأ السلطان الناصر الميدان الكبير على النيل، وخرّب ميدان اللوق الذي أنشأه الظاهر بيبرس وعمله بستانًا حُمِلت إليه الأشجار من دمشق وغيرها⁷، وفي سنة 713هـ/1314م ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة، فاختطّه من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة، ووَزَّع عمله على الأمراء، فنقلت جمالهم الطين إليه...، فلمّا فرغت

(1) نفسه- ج4- ص373.

(2) قرحيلي جميل نبيل- الاحتفالات في عصر المماليك- ص105.

(3) المقرئ- السلوك- ج5- ص123.

(4) نفسه- ص123.

(5) نفسه- ص123.

(6) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص376.

(7) المقرئ- السلوك- ج3- ص318.

عمارتها لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة¹، فكان جمال المكان دافعاً لاستضافة الأمراء والزوّار به، ففي نفس السنة، في صفر كان ختام ضرب الكرة، استضاف السلطان الأمراء بالبحر، ومدّ لهم أسمطة²، وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر³، وفي سنة 916هـ/1511م في ربيع الآخر كان ختم ضرب الكرة، وعزم السلطان على الأمراء، ومدّ لهم أسمطة حافلة، وجلس في المقعد الذي أنشأه بالميدان عن قريب⁴.

وفي شعبان سنة 912هـ/1507م وصل السلطان من البلاد الشاميّة صناديق خشبٍ وفيها أشجار بطيخها ما بين تفّاح شاميّ وكثيري وسفرجل وكروم...؛ فغرس ذلك جميعه بالميدان الذي تحت القلعة، فكانوا نحوًا من مائة وخمسين حملًا، فعُدّ ذلك من النوادر اللطيفة، وكان السلطان مولعًا بغرس الأشجار، وحبّ رؤية الأزهار والرياضات، وهذه الأخبار تقرّب من أخبار خمارويه بن أحمد بن طولون، أنشأ بستانًا بالقرب من جامع أبيه، ولمّا كملت عمارة هذا الميدان صار من جملة منتزهات الديار المصريّة وصار السلطان ينزل إليه في كلّ يوم، ويعمل به المواكب في غالب الأيّام، وكان أكثر إقامته به لأجل التّزّه⁵.

وفي سنة 917هـ/1512م في يوم الثلاثاء ثامن عشر من عزم السلطان على قاصدٍ الصوفي في الميدان وضرب الكرة هو والأمراء المقدمين قدامه، فلمّا انتهى ضربها دخل السلطان إلى البحيرة التي أنشأها وأضافه هناك ضيافة حافلة، وألبسه سلازي صوف فُستقي بصمّور من ملايسه⁶، وفي ذلك تقريبٌ لأهل التصوّف، كما كانت لعبة الكرة فرصة لتغيير الأزياء، ففي سنة 920هـ/1515م في يوم السبت سادس عشره (ربيع الآخر) ضرب السلطان الكرة بالميدان، ثمّ بعد ذلك رسم للأمراء بأن يتخفّفوا من ثيابهم⁷، وهذا دليلٌ على ما اشتهر به العصر المملوكي، بإرثه المعماري المثير للإعجاب في مصر وبلاد الشام؛ إذ

(1) نفسه- ج 2- ص 486.

(2) السّماط هو، ما يُمدّ ليوضع عليه الطعام في المآدب. المعجم الوسيط- ص 466 : الأسمطة السلطانيّة، ومن عادة السلطان مدّ السّماط طرقيّ النهار في كلّ يوم لعامة الأمراء خلا البرانيّين، فقليلٌ منهم. ابن فضل الله العُمرّي- ج 3- ص 296.

(3) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 4- ص 115.

(4) ابن إياس- المصدر نفسه- ج 4، ص 186.

(5) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 4- صص 102، 103.

(6) نفسه- ص 220.

(7) نفسه- ص 376.

وجد السلاطين في وقت الفراغ الترويج للعديد من الأعمال النبيلة التي تميّز حكمهم فوق أيّ فترة أخرى من التاريخ المصري ربّما دليل على الاستقرار، لأنّ ابن طولون كان محظوظاً كونه نشأ في زمن السلم¹ لما أنجزه من مباني رائعة، وفيه مشاكلة لمن حكم بعده، فكان الملك الصالح نجم الدين أيوب غاويّاً للعمارة فبنى قلعة الجيزة والصالحية².

4- العفو عن بعض المساجين والفارين: كان اللعب بالكرة فرصة كذلك للإفراج عن بعض المساجين وتسوية المظالم، ففي سنة 703هـ/1304م قدم الأمير بُرْلُغِي الأشرفي، وشكا من قلّة مهابة الشريفين أبي الغوث وعطيفة، فأفرج عن الشريفين حُمَيْضة وأسَد الدين رُمَيْثة؛ ولَدَي الأمير نجم الدين أبي نُحْيٍ من السجن، وأحضرا إلى المجلس السلطاني...، وركبا مع السلطان في الميدان، ولعب حُمَيْضة مع السلطان بالكرة...³، وفي شعبان سنة 912هـ/1507م عرض السلطان السلطان الناصر ناصر الدين محمد(709-741هـ/1310-1341م) المحابيس والنساء بالحجرة، وأطلق منهم جماعةً، وصالح عنهم من أرباب الديون من ماله⁴، وهذا للحفاظ على استمرار لعب الكرة، فعدم تسوية المظالم يسبب تعطيل اللعب بالكرة؛ ففي سنة 740هـ/1340م لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الكرة⁵.

وفي سنة 919هـ/1514م في شهر ربيع الآخر، أبطل السلطان ضرب الكرة وسبب ذلك عارض أصابه في عينه، فظهر محمد بن نصر الله الذي كان ناظر دار الضرب، واختفى من السلطان مدّة طويلة، فلمّا أظهر السلطان العدل في هذه الأيام، فأرسل يطلب منه الأمان، فبعث إليه بمنديل الأمان⁶، وهذا فيه مشاكلة مع ما تقدّم به محمود بن زنكي(ت569هـ/1174م)، كان يوماً يلعب بالكرة في ميدان دمشق، فجاءه رجلٌ فوقف بإزائه، فقال للحاجب: "سلّه ما حاجته؟"، فسأله: فقال: "لي مع نور الدين حكومة"، فرمى الصوّلجان من يده، وجاء على مجلس القاضي كمال الدين بن الشهرزوي، وتقدّمه الحاجب⁷.

(1) Daniel Beaumont, op.cit, p. 201-117 .

(2) ابن فضل الله العُمرى- المصدر السابق- ج 27- ص 224 .

(3) المقرئى-السلوك- ج 2- ص 369 .

(4) ابن إياس-بدائع الزهور- ج 4 - ص 102 .

(5) المقرئى- السلوك- ج 3- ص 273 .

(6) ابن إياس- بدائع الزهور- ج 4- ص 311-319 .

(7) سبط ابن الجوزي- مرآة الزمان- ج 21 - ص 206 وما بعدها.

5- تشجيع رياضات أخرى: ارتبطت رياضات بلعبة الكرة، ففي سنة 917هـ/1512م في يوم الثلاثاء خامسه (ربيع الآخر) كان ختام ضرب الكرة بالميدان، فأحضر السلطان قانصوة الغوري ثيران وكباش يتناطحون قدامه¹، وكان هناك تشجيع للعبة الرمح وغيرها، ففي سنة 920هـ/1515م جمادى الأولى، كان مستهل الشهر يوم السبت، فجلس السلطان الأشرف قانصوة الغوري بالميدان... في يوم كان ختام ضرب الكرة وختام خصمانيّة لعب الرمح، فلما انقضى ضرب الكرة... وأحضر الأفيال الكبار والسباع والثيران برسم النطاح، فتناطحوا بين يدي السلطان²، وفي سنة 921هـ/1516م في يوم السبت خامس عشر ربيع الآخر كان ختام ضرب الكرة، فلعب السلطان الأشرف قانصوة الغوري الكرة في الميدان، ثمّ طلع إلى القلعة... وكان السيّد الشريف بركات أمير مكّة، ثمّ أحضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدامه في الحوش، فلما دخل وقت الظهر أحضر جماعة من الممالك لعبوا خصمانيّة في الرمح³.

6- الهيبة أمام الزوّار: سعى سلاطين الممالك إلى إبراز هيبة سلطانهم أمام زوّارهم والرفع من مهامّ موظّف ووظيفة المهندّار، فهي اسم لمن يقوم بأمر قُصّاد الملوك ورُسُلهم، فمن حقّه أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويُزهد القُصّاد، وأن ينهي أمور القُصّاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، ورُبّ من يتعيّن عليه المبادرة إلى إكرامه...⁴، ففي سنة 748هـ/1348م استمرّ السلطان الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر بن محمد على الانهماك في لهوه، وصار يلعب في الميدان⁵.

وفي سنة 918هـ/1513م ربيع الآخر، في يوم الثلاثاء تاسع عشر كان ختام ضرب الكرة بالميدان، كانت جماعة من هؤلاء القُصّاد حاضرين، فلما انتهى ضربها قام السلطان... وأحضر قدامه ثيران يتناطحون وكباش... وعزم على الأمراء المقدمين قاطبة، وكذلك القُصّاد، فلما صلى الظهر خرج، وأحضر ممالك يلعبون بالرمح، فوقع بينهم في ذلك خُصمانيّة، حتّى تعجّب القُصّاد من ذلك⁶، وهذا دليل على ما في مملكة مصر والشام من محاسن الأشياء، ولطائف الصنائع ما تكفي شهرته، وبها من أنواع الصنّاع في الأسلحة والقماش...، وغير ذلك ممّا يكاد يُعَدُّ تفرداً به، والرماح التي لا يُعمل في الدنيا أحسن منها، وللأمراء على السلطان في كلّ سنة ملابس...⁷.

(1) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص229.

(2) ابن إياس- المصدر نفسه- ص380.

(3) نفسه- ص455.

(4) السُّنكي، معيد النعم- ص31 وما بعدها.

(5) المقرئ- السلوك- ج4- ص51.

(6) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص269.

(7) ابن فضل الله العُمرى- مصدر سابق- ج3- ص287 وما بعدها.

7- **التقارب بين السلاطين والخلفاء العباسيين في مصر:** ظهر التقارب بين الخليفة والسلطان المملوكي سنة 701هـ/1302م؛ ففي محرّم مات الخليفة الحاكم بأمر الله (661-701هـ/1264-1302م) الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد، في ثامن جمادى الأولى، فأقيم بعده المستكفي بالله ابن الحاكم بأمر الله (701هـ/740-1302م/1340م)، وعمره عشرون سنة، وكُتب تقليده، وقرأ بحضرة السلطان في يوم الأحد عشر جمادى الأولى، وخطب له على عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان في اللعب بالكرة، ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين¹.

8- **تدعيم القطاع الصحي:** للعبة الكرة عدّة مخاطر كسقوط اللاعبين من أعلى ظهور الخيل، ففي سنة 678هـ/1280م توفيّ الملك السعيد بركة بن الظاهر...، تقنطربه الفرس في لعبة الكرة، فحُتم ثمّ مات²، وهناك من نجا، ففي سنة 696هـ/1298م ركب السلطان الملك المنصور حُسام الدين لاجين المنصوري، أحد مماليك السلطان الملك الناصر سيف الدين قلاوون، وكان من مماليك الملك المنصور نور الدين علي بن المعزّ أيبك³ إلى الميدان للعب الكرة، فتقنطربه فرسه فسقط، وانكسر أحد جانبي يديه وبعض أضلاعه، واحتاج المجبرون إلى كسر عظم الجانب الآخر من يده لأجل صحّة الجبر، فإنّه لا يُجبر أحد الجانبين...، فدخل عليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، وقال له: "أنا حصل لي مثل هذا، فلمّا احتجّت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثمّ جُبر"، وكلمه في ذلك بكلام فيه غلظ، فقبض عليه، واستمرّ السلطان على الانقطاع لهذه الحادثة إلى أن كملت صحته، وصحّ ما جُبر من يده وجسده، ثمّ ركب في حادي عشر صفر سنة 697هـ/1299م⁴، ونجاح عمليّة الجبر دليلًا على أنّ السلاطين المماليك كان يصحّهم في سفرهم مارستان لكثرة منّ معهم من الأطباء، وما يجري مجرى ذلك⁵.

وفي سنة 730هـ/1331م خامس عشر ربيع الآخر، السلطان الناصر ناصر الدين محمد تقنطّر عن فرسه وانكسرت يده، وغُشي عليه ساعة وهو ملقى على الأرض، ثمّ أفاق، وعاد إلى قلعة الجبل في عشية الأحد ثامن عشره، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته، فتقدّم رجل من المجبرين يُعرف بابن بوسّة، وقال بجفاء: "تريد تفيق سريعًا، اسمع منّي"، فقال له: "قل ما عندك"، فقال: "لا تخلّ أحدًا يداويك غيري بمفردي، وإلا فسّد حال يدك مثل ما سلّمت رجلك لابن السيّسي أفسدها، وأنا

(1) المقرئ- السلوك- ج 2- ص 345، 346.

(2) ابن الوردي- تاريخ ابن الوردي- ج 2- ص 324 : أنهم أنّه سُمّ، أنظر، المقرئ- السلوك- ج 2- ص 126.

(3) النويري- نهاية الأرب- ج 31- ص 31.

(4) النويري- المصدر نفسه- ص 205، 206/المقرئ- السلوك- ج 2- ص 281-283.

(5) المقرئ- الخطط المقرئ- ج 3- ص 32.

ما أخلي شهرًا يمضي حتى تركب، وتلعب بيدك الأكرة"، فأغضى السلطان عن جوابه، وسلم إليه يده، فتوَّى علاجه بمفرده، فبطلت الخدمة مدّة سبعة وثلاثين يومًا، ثم عوفي السلطان، وأنعم السلطان على المجتبر بعشرة آلاف درهم، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء، فلم يتأخر أحدٌ من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وأعطاه المال، فحصل له ما يُجلُّ¹.

وتعرّض بعض الأمراء للسقوط، ففي سنة 746هـ/1346م لعب السلطان سيف الدين شعبان بن الناصر محمد مع الأمراء بالكرة في الميدان بالقلعة، فاصطدم الأمير بئبغا الصلاحي مع آخر سقطًا معًا من فرسهما إلى الأرض، ووقع فرس بئبغا على صدره، فانقطع نخاعه، ومات لوقته²، وفي سنة 918هـ/1513م في يوم السبت في العشر الثالث من هذا الشهر ابتداء السلطان الأشرف قانصوة الغوري بضرب الكرة فلعب هو والأمراء في ثاني عشرة ربيع الأول بضرب الكرة بالميدان، فتقنطري ذلك اليوم الأمير سُودون الدواداري، فنزل على كتفه فانصدع، فتألم لذلك³.

9- زيارات على هامش اللعب بالكرة: استغل بعض السلاطين فرصة لعبة الكرة لزيارة بعض العلماء تكريمًا لهم ولعلمهم، ففي سنة 662هـ/1265م يوم عاشر ذي القعدة، ...ثم عاد إلى الإسكندرية،... ولعب الكرة بالميدان، وزار الشاطبي⁴، ثم سار إلى القاهرة⁵.

10- إقامة الولائم بعد انتهاء اللعب بالكرة: في سنة 747هـ/1347م الثلاثاء أول محرم ركب السلطان المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد (746-747هـ/1347-1348م) في أمرائه الخاصكية، ولعب بالكرة، فغلب ملكتم الحجازي، فلزم بعمل وليمة في سرياقوس للسلطان⁶، وفي سنة 800هـ/1399م السبت ثاني عشر ذي القعدة عمل السلطان الناصر سيف الدين برقوق في مدّة حكمه الثانية عملاً مهمًا بالميدان تحت القلعة؛ سببه أنه لعب بالكرة كالعادة، فغلب الأمير

(1) المقرئ- السلوك- ج3- صص128، 129.

(2) نفسه- ج4- ص27.

(3) ابن إياس- بدائع الزهور- ج4- ص265.

(4) الشاطبي: محمد بن علي بن يوسف الأنصاري، إمام عصره في اللغة، تصدر بالقاهرة، توفي يوم 28 جمادى الأولى سنة (684هـ/1251م). ابن العماد الحنبلي الدمشقي أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط- حققه وعلّق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير- دمشق- بيروت- ط1- 1412هـ/1991م- ج7- ص679/شاطبي، مدينة في شرقي الأندلس، وشرقي قرطبة، كبيرة قديمة. أنظر- ياقوت الحموي- معجم البلدان- م3- ص309.

(5) المقرئ- السلوك- ج2- ص14/النويري- نهاية الأرب- ج30- ص68.

(6) المقرئ- السلوك- ج4- ص43.

أَيْتَمِشْ، والتزم أَيْتَمِشْ بعمل مهمٍّ بمائتي ألف درهم كونه غلب، فقام السلطان عنه بذلك، وألزم به الوزير...¹.

11- إغناء الثروة الأدبية: كان للعبة الكرة ذِكْرٌ في قصائد الشعراء، تمّ ذكره في العنصر الأول: لَهَا السَّنَابِكُ فِي الْمَيْدَانِ قَدْ حُنِيَتْ صَوَالِجًا وَلَهَا رُوسُ الْعِدَا أَكْرُ².

12- تدعيم بعض العادات والتقاليد: كان لعب الكرة أيضًا ملازمًا لبعض العادات والأعياد، ففي سنة 786هـ/1358م يوم السبت تاسع رجب، ورابع أيام النسي³ ركب السلطان إلى الميدان للعب بالكرة مع الأمراء⁴، وهذا ترسيخٌ لمظاهر الكفر "وما النسيءُ إلّا زيادة في الكفر، والنسيءُ مصدرٌ من قول: "نَسَأْتُ فِي أَيَّامِكَ"، ونَسَأَ اللَّهُ فِي أَجَلِكَ؛ أي: "زاد الله في أيام عمرِكَ، ومدة حياتك حتّى تبقى فيها حيًّا"⁵.

الخاتمة: وعليه، فإننا نسجّل النتائج التالية:

- لعبة الكرة لم تكن جديد الممالك في مدّة حكمهم لمصر وبلاد الشام؛ بل كانت معروفة لديها من قبل، بحكم أن حكام ووزراء وأمراء قد لعبوها في فترات الحكم ما قبل المملوكي.
- بقدر ما كانت هواية فرديّة، فقد كانت هواية جماعيّة؛ لأنّه يمكن لعبها بشكلٍ فردي وآخر جماعي لأغراضٍ محدّدة.
- شجّعت احترافيّة لعبها على تحسين الجانب العمراني وهندسته وجمالياته، مع الاهتمام بالقلاع والزراعة والبستنة، خاصّة وأنّ اللعب كان للحكام والوزراء والأمراء، وممّن يحضر من الزوّار.
- مواسم لعبها جعلت الأمراء والوزراء وغيرهم ينتظرون قدوم مواعيدها لينعموا بالأعطيات والخلع والترقيات.
- شجّعت على العمل الفردي وكذلك العمل الجماعي.

(1) النُوبري- نهاية الأرب- ج32- ص32 وما بعدها.

(2) النُوبري- نهاية الأرب- ج32- ص32 وما بعدها.

(3) النسيء، استعمله أهل الجاهليّة: فلمّا رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحُرْم رأوا بأرائهم أن يحافظوا على عبدة الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخّروا بعض الأشهر الحُرْم أو يقدّموه ويجعلوا مكانه من أشهر الحِلّ ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلّوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحرام حرامًا. السعدي عبد الرحمن بن ناصر- تيسير الكريم في تفسير كلام المئان- حققه عبد الرحمن بن مُعلّا اللويحي- مؤسسة الرسالة- ط1- 1420هـ/2000م، ص396.

(4) المقرئ- السلوك- ج5- ص167.

(5) الطبري(محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأُملي ت310هـ)- تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن -تحقيق- الدكتور عبد الله بن عبد الله المحسن التركي- بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط1-(1422/2001م- ج3- ص449.

- نَهَتْ إلى مدى قوّة الحُكّام والأُمراء ومدى ذكائهم أثناء اللعب وفروسيّتهم؛ لأنّ اللعب يحتاج إلى تخطيط وذكاء.
- أعادت الهيبة لمصر وبلاد الشام، من خلال الفنون القتاليّة التي كان يلحظها الزوّار أثناء اللعب، ونَهَتْ الحُكّام إلى قدرات أمراءهم، ما جعلهم يتحسّسون لأيّ انقلابات عليهم مستقبلاً.
- شجّعت العِزْق المملوكي على بناء الوحدة فيما بين مجموعاتهم وتقريب بعضهم البعض.
- أكّدت مدى المشكلة التي كانت بين حُكّام المماليك ومن سبقهم إلى حكم مصر وبلاد الشام في تنظيم اللعب والأهداف.
- قدرة لعبة الكرة على التنشئة العسكريّة. كما عرّفت بمصر وبلاد الشام، اقتصاديًا، وعلميًا وغيرهما.
- رسّخت بعض البدع والاحتفالات.
- نَهَتْ إلى مدى تأثّر المماليك الحُكّام بعادات الفُرس، من خلال مواعيد خروج الحاكم للخاصّة وتوزيع الكسوة وغيرها.
- عمّقت الطبقية في المجتمع المملوكي وقتها، باعتبارها كانت لعبةً للخاصّة فقط دون العامّة.
- شجّعت حركة الانقلابات في الحكم، من خلال تعرّف كلّ مجموعة مملوكيّة إلى قدرات غيرها في التحكّم العسكري وغيره، ولذلك نجد تحولات في المجموعة الحاكمة المملوكيّة بين الحين والآخر.